

الأحد العاشر

(متى 4: 9-16)

" فأطلب إليكم إذاً أن تكونوا بي متشبهين "

إن ما يقوله لنا الرسول في هذه الرسالة لمهم جداً. يقدم نفسه كمثل، و يدعو الكورنثيين ليتشبهوا به. لا يعني الرسول بكلامه تكبراً و لكن المعنى الحقيقي سنجد في إصحاحات لاحقة في (1كورنثوس 11: 1) حيث يقول : " إقتدوا بي كما أقتدي أنا بالمسيح ". يقول الذهبي الفم عن هذا الكلام: " لتعليم معلمنا قوة عظيمة! و الصورة التي صورها لنا توضح ذلك ! لا يعني تمجيد نفسه، لكنه يعني بأن الفضائل أمر سهل".

و أكثر المسيحيين عندما ينتهكون الناموس الإلهي، يعطون حججاً ضعيفة ليبرروا أنفسهم. قال لي يوماً مراهقاً: " إن ما ورد في الأناجيل صعب و لا يمكن تحقيقه، و هو للكهنة والرهبان، و ليس للذين يعيشون و يعملون في العالم، في المعامل و في المدن". لكن الذهبي الفم في موعظته الثالثة عن العازار الفقير يقول: " يعيش الراهب بعيداً عن ساحة المعركة، لهذا السبب، غالباً ما لا يُجرح. لكن أنتم في قلب النزاع تُجرحون غالباً: تُثِيرُك زوجتك، تخاف على أولادك، يغيظك الذين يعملون معك؛ أعداؤك يودون التخلص منك... يهددك القانون، الفقر يخيفك؛ موت عزيز يضعك في حالة حزن دائم؛ النجاح يقودك إلى حب ذاتك؛ و مشاكل أحر كثيرة تواجهك. لهذه الأسباب يجب أن نتسلح بكلمة الرب". و الكتب المقدسة قد كُتِبَت للذين يعيشون في العالم و للمتنسكين". يكتب الذهبي الفم: " لقد كُتِبَت الكتب المقدسة بنعمة الروح القدس من قِبَل العشارين و الصيادين، صانعي الخيم و الرعاة... من المتعلمين و الأميين حتى لا يدعى أحد بجعله قائلاً: لا أفهم. كلمات الإنجيل بسيطة، معانيه يمكن أن يفهما كل من يريد أن يتعلم،... لم تُكُتِب الكتب المقدسة لطموحات شخصية، و لكن ليخلص كل من يسمع و يقبل رسالتها".

لو طلب منا الرسول بولس أن نتشبه بالمسيح مباشرة، لأخافنا. المسيح هو نفسه الله. كيف يمكن لإنسان أن يتشبه به؟ ما هي نواحي الحياة التي يمكن للمؤمن أن يتخذها من الرسول بولس و القديسين و يتشبه بها؟ دعوني أعيد الكلمات: " لأنني أرى أن الله أنزلنا نحن الرسل أدنى منزلة لمحكوم علينا بالموت، فقد صرنا معرّضين لنظر العالم و الملائكة و الناس. نحن حمقى من أجل المسيح و أنتم عُقلاء في المسيح؛ نحن ضعفاء و أنتم أقوياء. أنتم مكرّمون و نحن مُحتقرون. و لا نزال حتى هذه الساعة أيضاً نجوع... نُشْتَم فُنْبَارَك، نُضْظَهَد فنُحْتَمَل، يُشْنَع علينا فنرد بالحسنى، صرنا شبه أقدار العالم و نفاية الناس..."

ثرى كيف كانت حياة الرسل و القديسين و كيف تشبهوا بالمسيح؟ لقد عاش على هذه الأرض دون أن يحصل على شيء إلا الإضطهاد و الهزء من الكثيرين بسبب تعليمه. " كان وديعاً و متواضع القلب..." (متى 11: 29) " إن للثعالب أوجرة و لطيور السماء أوكاراً، و أما ابن الإنسان فليس له ما يضع عليه رأسه" (متى 8: 20). " شَيْم و لم يَرُدَّ على الشتيمة بمثلاً، تألم و لم يهدد أحداً" (1بطرس 2: 23) .

كانت فلسفة التلاميذ و نظرتهم العامة للحياة و للمبادئ مختلفة عن مفهوم العالم لها. من من فلاسفة العالم سيُتخذ بكلمات الرسول الواردة في رسالة اليوم؟ عالم اليوم يُتخذون بالقصور و الغنى و السيارات الفخمة...؟

يقول الذهبي الفم: " أن أكثر البشر يُفصلون و يخيطون حياتهم لإرضاء الرأي العام. " إن سيد حياتنا هو المدينة و الجموع، المتكبرون و ... " ثم يضيف الكاتب: " العالم سكران بالملذات، و يعرف بأن أعيننا مصوِّبة عليه. عندما نعمل الصالحات تُرضي الله و نحصل على قبول الإنسان. و عندما نعمل الشر، لا نخاف الله، و لكن يهمننا ما سيقوله الآخرون عنا. غالباً ما ندوس على ناموس الله لنكون "ديبلوماسيين". ويل للذين يبنون حياتهم حول الرأي العام. رجل الله يعيش في هذا العالم، لكنه يعيش حسب ناموس الله غير المتغيّر من العالم. عندما يعيش الإنسان بونام مع إرادة الله الموحاة، فسوف لن يخاف الرأي العام. لأنه كما يقول الرسول بولس في (1 تيموتي 1: 9)

" نحن نعلم أن الشريعة حسنة، إذا ما استعملت استعمالاً شرعياً، و نعرف بان الشريعة لم تُسن للبار، بل للأثمة و العصاة للكافرين الخاطئين..."

الرأي العام ليس ناموساً للمؤمن المسيحي. إن أكثر كتب العهد الجديد و خاصة رسائل بولس ستكون غير ضرورية لو لم يستعبد المسيحيون أنفسهم للرأي العام. يكتب الرسول: "نحن ضعفاء، و أنتم أقوياء، أنتم مُكرّمون و نحن مهانون..." لا يقصد الرسول بمقارنته أن يُجذل أهل كورنثوس و لكنه كأب يحذّر أولاده. فيستعمل كل معرفته ليوجههم ليغيروا تصرفاتهم و أفكارهم. "لا أريد فيما أكتبه أن أخلكم بل أريد أن أنصحكم نصيحتي لأبنائي الأحباء". الأب المؤمن يستعمل كل السبل الصالحة ليقود أولاده إلى الخلاص. و الوسيلة الأفضل هي أن يشجعهم للتشبه بالرسول و قديسي الكنيسة، في تصرفاتهم اليومية.

" أدعوكم أن تتشبهوا به، كما تبعت أنا مثل المسيح "

أمين

المتر و بوليت بولس صليبا